الفصل الثانى

العلم والاجتهاد

- طلب العلم .
- الفراسة وعلم النفس .
- حفظ الحديث النبوى .
- الاجتهاد الفقهى والخلاف .
- التأسى بالصحابة .
- الفرق .
- القياس الفقهى .

طلـــب العلـــم

ـ « من خرج فى طلب العلم حفته الملائكة بأجنحتها وصلت عليه الملائكة فى السماء والحيتان فى البحر ، ونزل من الله بمنازل سبعين من الشهداء » ..

قال الدارقطنى : هذا باطل موضوع .. وقد أخرجه فى الغرائب من رواية القاسم بن ابراهيم الملطى عن مالك عن الزهرى عن أنس رضى الله عنه ـ رفعه ، والقاسم كذاب (لسان الميزان : ١٤١٠ والكنى لابن حجر: ٧٤) .

ـ « العلم علمان : علم فى القلب فذلك العلم النافع . وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم » .. ضعيف .

ـ « اطلبوا العلم ولو بالصين » .. باطل . .

ـ « ليس من أخلاق المؤمن الملق الا فى طلب العلم » ـ وفى رواية : « لا حسد ولا ملق الا فى طلب العلم » .

قال الألبانى : موضوعان . وفى قوله نظر ، فقد أخرج ابن عدى الأول من حديث معاذ وأبى امامة باسنادين ضعيفين ، كما قال الحافظ العراقى ، فليس موضوعا كما زعم الألبانى . والمراد من الحديث التواضع للمعلم ، وطلب الثواب والشرف بخدمته ، قال الشعبى : صلى زيد بن ثابت على جنازة ، فقربت اليه بغلته ليركبها ، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه . فقال زيد : خل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ . فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء . فقبل زيد بن ثابت يده وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل نبينا ﷺ . رواه الطبرانى والحاكم والبيهقى فى المدخل الا أنهم قالوا : « هكذا نفعل » بدون لفظ « أمرنا » قال الحاكم . صحيح الاسناد على شرط مسلم .

ومما استدل به على أن العلم لا ينال الا بالتواضع والقاء السمع للعلماء قوله تعالى : « **ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** »(١) . ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلا للعلم فهما ، ثم انه لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقى السمع وهو شهيد ، حاضر القلب

---

(١) سورة ق : ٣٧

ليستقبل كل ما القى اليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبـول المنة .

ـ « من غض صوته عند العلماء كان يوم القيامة مع الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى من أصحابى ، ولا خير فى التملق والتواضع الا ما كان فى الله أو فى طلب العلم » .

أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس بأسناد مظلم . وقال الألبانى : حديث منكر .

أقول : يرجع أصل الحديث الى ما تدل عليه آيات القرآن « **واغضض من صوتك** »(٢) ، « **ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى** »(٣) .. فهى من كلمات العلماء وحرفت كلمة « من اصحابه ﷺ » الى لفظ « من أصحابى » فشاعت حديثا .

ـ « اتبعوا العلماء فانهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة » .

حكمـة ، وليس حديثا .. ومن أثبتـه حديثا فهـو من الأحاديث الموضوعة .

ـ « علماء امتى كأنبياء بنى اسرائيل » .

لا أصل له باتفاق العلماء . وهو مما يستدل به القاديانية على بقاء النبوة بعده ﷺ .

ـ « يوزن يوم القيامة مداد العلماء ، ودم الشهداء ، فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء » .. **موضوع .**

ـ « الحكمة ضالة المؤمن : حيثما وجد المؤمن ضالته فليجمعها اليه » .

رواه القضاعى(٤) فى مسنده مرسلا عن زيد بن أسلم ـ رفعه ، وبمعناه رواه الترمذى والقضاعى أيضا عن أبى هريرة .

وأخرجه البيهقى عن سعيد بن أبى بردة قال : كان يقال : « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها » وعن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : كان يقال : الحكمة ضالة المؤمن يغدو فى طلبها . وهذه الصيغة تشـعر بأنها من قبيل الحكم والأمثال السائرة .

---

(٢) لقمان : ١٩ (٣) الحجرات : ٣

(٤) القضاعى : القاضى عبد الله بن محمد بن سلامة القضاعى ، مؤلف كتاب « المختار فى ذكر الخطط والآثار » .

ورواه العسكرى عن أنس ـ رفعه ، بلفظ : « خذوا الحكمة ممن سمعتموها ، فانه قد يقول الحكمة غير الحكيم ، وتكون الرمية من غير رام » ، وأسانيدها ضعيفة .

ـ « اذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا . قالوا : وما رياض الجنة يا رسول الله ؟ قال : حلق العلم » . ـ وفى رواية ـ « حلق الذكر » .

قال ابن حجر فى اللسان ـ عند ذكر محمد بن اسحاق الصيرفى ـ المعروف بأبى ذر : انه يروى باسناد عن مالك عن نافع .. ومالك هذا وضاع ، وأبو ذر هذا كان ضعيفا .. فالحديث من غرائب مالك ، فهو موضوع باطل .

ـ « اذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما يقربنى فيه الى الله تعالى ، فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم » . ـ وفى رواية : « اذا أتى على يوم لم أزدد فيه خيرا فلا بورك لى فيه » .

من الأحاديث الموضوعة ، ويبدو أنه من كلام عالم عن نفسه ، رفعالى الرسول خطأ . فهما من باب العظة والتوجيه غير النبوى ، وان كان فضل تحصيل العلم كبيرا ، وحسبه ان أول آية نزلت فيه **« اقرأ باسم ربك الذى خلق »**(٥) .

وان آخر البحوث العلمية تؤكد أهمية العلم فى التنمية ، ففى دراسة للبنك الدولى عن التنمية والعلم ، تبين منها أن التعليم الابتدائى يجعل العامل يعطى عائدا بنسبة (٢٧٪) فى ٢٢ دولة نامية ، بينما التعليم الثانوى يجعل العطاء بزيادة (١٦٪) عما يعطيه ذو التعليم الابتدائى . كما أن عائد ذوى التعليم العالى يزيد بنسبة (١٢٪) عن التعليم الثانوى .. ولهذا كانت التوصية هى أن تعطى الأولوية فى الخدمات للتعليم فى الدول النامية .

● **فضل السؤال :**

ـ « العلم خزائن ، ومفتاحها السؤال » .

أخرجه أبو نعيم (١٩٢/٣) . وهو موضوع .. لا يقال الا من باب الحكم والأمثال السائرة .

---

(٥) العلق : ١

ـ « الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة ، والتودد الى الناس نصف العقل ، وحسن السؤال نصف العلم » .

رواه البيهقى والعسكرى وابن السنى والديلمى والقضاعى عن ابن عباس مرفوعا ـ وفى رواية عن ابن عباس مرفوعا : « ما عال من اقتصد » وشواهده تجبر ضعفه ، وتجعله حسنا . (كشف الخفاء : ٤٧٦/١) .

● **مراعاة مستوى المخاطب :**

ـ « انا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم » . (كشف الخفاء : ٥٩٢/١) ـ وفى رواية بلفظ : « بعثنا معاشر الأنبياء نخاطب الناس على قدر عقولهم » .

قال ابن حجر : رواه يحيىبن مالك بن أنس الأصبحى، قال العقيلى: يحيى حدث عن أبيه بمناكير . وقال : مسلمة بن قاسم ـ من رجال السند ـ يضعف ، ولكن ذكره ابن حبان فى الثقات . وقال : سكن اليمن ، وحدث عن أبيه الموطأ ، مستقيم الحديث . وقد روى هذا الحديث عن انس مرفوعا . والصحيح أنه روى مرسلا عن سعيد بن المسيب ، وأن له شواهد ، فقد رواه الديلمى عن ابن عباس بلفظ : « امرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم » ـ وفى رواية عن ابن عباس أيضا ـ « أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم » ، والروايتان ضعيفتان . ولكن تضافر هذه الروايات يقوى بعضها بعضا .. وجاء هذا المعنى فى صحيح البخارى موقوفا عن على ، كما فى صحيح مسلم مثله عن ابن مسعود موقوفا .

● **فى الشعر :**

ـ « من رايتموه ينشد شعرا فى المسجد فقولوا له : فض الله فاك(٦) ثلاث مرات » .

أخرجه النووى فى الأذكار (ص ٢٧) ، وأسنده الى ابن السنى باسناده عن ثوبان . قال ابن حجر : ثوبان المذكور فى هذا الحديث ليس هو المشهور ـ مولى رسول الله ﷺ ـ بل هو آخر لا يعرف الا فى هذا الاسناد ، فهو لهذا حديث ضعيف .

---

(٦) أخلى فمه من الأسنان ، مثل قول بعضهم : « كسر أسنانه » .

وفى صحيح البخارى موقوفا . عن على رضى الله عنه : « حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله » ؟

وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود قال : « ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة عليهم » ، ومثله كثير رواه الديلمى عن ابن عباس .

وصح عن أبى هريرة : « حفظت وعاءين عن النبى ﷺ ، فأما احدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم » .

ـ عن ابن عباس مرفوعا : « عاقبوا أرقاءكم على قدر عقولهم » رواه الديلمى وأخرج الدارقطنى عن عائشة مثله .

ـ « خالقوا الناس بأخلاقهم » . رواه الحاكم عن أبى ذر مرفوعا وقال : صحيح على شرط الشيخين ، وبمعناه ما اخرجه الطبرانى وابو الشيخ . عن ابن مسعود مرفوعا :

ـ « خالط الناس بما يشتهون ، ودينك فلا تكلمنه » يعنى لا تخدشه .

ـ وعن على مرفوعا : « خالق الفاجر مخالقة ، وخالص المؤمن مخالصة ، ودينك لا تسلمه لأحد » .

ـ وفى الحديث أيضا « خالطوا الناس على قدر ايمانهم » .
ويبدو الوهن فى الحديثين الأخيرين ، وان يكن المعنى صحيحا .

ـ « حبك للشىء يعمى ويصم » .. ضعيف .

ـ « خير الأمور الوسط » .. حديث ضعيف . يجوز التكلم به كمثل سائر وحكمة مشهورة .

ـ « تفكر ساعة فى اختلاف الليل والنهار خير من عبادة الف سنة » ـ وفى رواية : « فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة » .

موضوعان : وان كان التعبد بالتفكر فى خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار من العبادات التى أثنى عليها القرآن والسنة . **« ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك »(٧) .**

---

(٧) آل عمران : ١٩١

ـ « من ازداد علما ولم يزدد فى الدنيا زهدا لم يزدد من الله الا بعدا » .

ـ « من كتم علما مما ينفع الله به الناس فى أمر الدين الجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » .

ضعيف . والصحيح هو ما رواه ابو داوود والعقيلى عن ابن مسعود مرفوعا : « من كتم علما عن أهله ألجم يوم القيامة لجاما من نار » .

ـ « من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لا يعلم » .. موضوع .

ـ « يوشك أن يضرب الناس أكباد الابل يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة ».

قيل : ضعيف . واحسبه من الموضوعات .

ـ « عالم قريش يملأ الأرض علما » يعنى الشافعى .. موضوع .

ـ « من تعلم علما لغير الله فليتبوأ مقعده من النار » .

ضعيف بهذا اللفظ وله شاهد من الصحيح رواه أبو هريرة قال : « من تعلم العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء . أو يصرف بـه وجوه الناس اليه أدخله الله جهنم » .

ـ « من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع » .. ضعيف .

* * *

ـ « اتقوا فراسة المؤمن . فانه ينظر بنور الله » .

رواه ابن عرفة عن أبى سعيد مرفوعا بهذا اللفظ وفيه زيادة « فانه ينظر بنور الله » . وفى اسناده محمد بن كثير الكوفى ، وهو ضعيف جدا ، ويشهد لهحديث عثمان حين دخل عليه قوم فيهم من نظر الى من لا تحل له . فقال عثمان : ما بال أقوام يدخلون علينا وعلى وجوههم آثار من زنا . فقيل له : أوحى بعد محمد عليه الصلاة والسلام ؟ فقال : لا .

ـ « اتقوا فراسة المؤمن » .

هكذا أخرجه الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا وقال : هذا حديث غريب . فى اسنده عطية العوفى وهو مدلس .

ولكن مما يشهد له قول القرآن فىالمتوسم:«ان فىذلك لآيات للمتوسمين»(١) أى فيما حل بديار قوم لوط من الدمار والعذاب دلالات وعلامات للمعتبرين، المتأملين بعين البصر والبصيرة(٢) .. ومما يشهد له فيقوى ضعفه ما رواه الترمذى الحكيم أيضا من حديث ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « ان لله عز وجل عبادا يعرفون الناس بالتوسم » .

ـ « ما اسر عبد سريرة الا ألبسه الله رداءها . ان خيرا فخير وان شرا فشر » .

من كلام الحكماء . والروايات التى ترفعه الى الرسول ضعيفة جدا .

وهو كقول على رضى الله عنه : « ما أضمر أحد شيئا الا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه » وفى القرآن الكريم : « سيماهم فى وجوههم من أثر السجود »(٣) .

وفى القرآن أيضا : « ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ، ولتعرفنهم فى لحن القول »(٤) ..

فهذا الحديث وان تهرأ اسناده ، سبق علمى بمضمونه ومعناه .. او هو سبق علمى لحكماء المسلمين .

● **الأنســـاب :**

ـ « اكرموا عمتكم النخلة . فانها خلقت من طينة أبيكم آدم » .

موضوع . وكذا كل ما فيه لفظ «عماتكم النخل» او «عمتكم النخلة».

---

(١) الحجر : ٧٥ (٢) صفوة التفاسير : ١١٤/٢

(٣) الفتح : ٢٩ (٤) محمد : ٣٠

ـ «كذب النسابون» ، قال الله تعالى : **«وقرونا بين ذلك كثيرا»(٥)** .

الحديث موضوع .. وقد ورد فى رفع الأنساب بعد عدنان الى اسماعيل بن ابراهيم ، ثم منهما الى نوح ثم آدم .. فهو وان لم يكن حديثا فهو تعبير عن حقيقة علمية كذلك .

ـ « انما بعثت معلما » .

أخرجه الدارمى من طريق عبد الله بن يزيد (٩٩/١) وابن وهب فى مسنده (١٦٤/٨ ـ ١) ، وعبد الله بن المبارك فى الزهد (٢٢٠/٢) والطيالسى (ص ٢٩٨ ـ رقم ٢٢٥١) كلهم عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقى ، عن عبد الرحمن بن رافع عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ مر بمجلسين فى مسجده فقال : « كلاهما على خير ، واحدهما أفضل من صاحبه . أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون اليه ، فان شاء أعطاهم وان شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه والعلم ، ويعلمون الجاهل ، فهم أفضل ، وانما بعثت معلما » .

وهو ضعيف الاسناد لضعف عبد الرحمن بن زياد ، وعبد الرحمن ابن رافع . والبديل عنه : « انما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » .

● **أثر البيئـــة :**

ـ « المرء على دين خليله ، فلينظر احدكم من يخالل » .

قال ابن الجوزى : موضـوع . وتعقبه فى المقاصد فقال : أخرجه أبو داوود والترمذى . والصواب : « الرجل على دين خليله . فلينظر احدكم من يخالل » .

رواه أبو داوود والترمذى عن أبى هريرة . ودرجته حسن .

ـ « روحوا عن القلوب ساعة فانها تمل كما تمل الأبدان »

جاء فى نهاية الأرب : وهو من أقوال على بن أبى طالب . وليس حديثا مرفوعا ، ويقال انه ضعيف .

ـ « جبلت القلوب على حب من أحسن اليها ، وبغض من اسـاء اليهـا » .

قال فى المقاصد : باطل ، وهو كقول صفى الدين الحلى :

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم

فطالما استعبد الانسـان احسان

* * *

---

(٥) الفرقان : ٣٨

حفظ الحديث النبوى

ـ « من حفظ على امتى اربعين حديثا من أمر دينها .. بعثه الله يوم القيامة فقيها ، وكنت له شافعا وشهيدا » .

رواه النووى فى مقدمة الأربعين حديثا النووية عن على بن ابى طالب مرفوعا ، وله عدة طرق كلها تالفة لا ترفعه عن درجة الضعيف ، قال ذلك النووى وغيره . ورواه ابن عبد البر ، وضعفه ، وقال فى الذيل : هو من اباطيل اسحاق الملطى .

● **ما قيل فى موافقة السنة للقرآن والعكس :**

ـ « اذا حدثتم عنى حديثا تعرفونه ولا تنكرونه ، قلته او لم اقله ، فصدقوا به ، فانى اقول ما يعرف ولا ينكر ، واذا حدثتم عنى حديثا تنكرونه ، قلته او لم اقله ، فلا تصدقوا به ، فانى لا اقول ما ينكر ولا يعرف » ..

قال البيهقى : قال ابن خزيمة : فى صحة هذا الحديث مقال : لأنا لم نر فى شرق الأرض ولا غربها احدا يعرف خبر ابن ابى ذؤيب من غير يحيى بن آدم ، ولا رايت احدا من علماء الحديث يثبت هذا عن ابى هريرة . قال البيهقى : وهو مختلف على يحيى بن آدم فى اسناده ومتنه اختلافا كبيرا يوجب الاضطراب . منهم من يذكر ابا هريرة ، ومنهم من لا يذكره ويرسل الحديث(١) .

وقال ابن حزم الأندلسى : هذا حديث مرسل ، فى اسناده الأصبغ وهو مجهول ، وفيه ايضا ما نقطع بكذبه وعدم صحته ، وهو قوله : « فصدقوا به ، ما قلته او لم اقله » ، فحاشا لرسول الله ﷺ ان يسمح بالكذب عليه ، وهو الذى تواتر عنه قوله : « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

ثم قال ابن حزم : فى حديث « اذا حدثتم » ، عبيد الله بن سعيد ـ احد رواة الحديث ـ كذاب مشهور ، وهذا هو نسبة الكذب الى رسول الله ﷺ انه حكى عنه انه قال : « **لم اقله فانا قلته** » ، فكيف يقر ما لم يقل ؟ هل يستجيز هذا الا كذاب زنديق كافر احمق(٢) .

---

(١) مفتاح الجنة ، ص ١٩ (٢) الاحكام لابن حزم : ٧٨/٢

ولكن للحديث رواية اخرى من طرق مقبولة ، ليس فيها « قلته او لم اقله » :

« اذا حدثتم عنى حديثا تعرفونه ولا تنكرونه فصدقوا به ، فانى اقول ما يعرف ولا ينكر ، واذا حدثتم عنى حديثا تنكرونه ، فلا تصدقوا به ، فانى لا اقول ما ينكر ولا يعرف » .

ـ « انى لا احل الا ما احل الله فى كتابه ، ولا احرم الا ما حرم الله فى كتابه » .

اخرجه الشافعى والبيهقى من طريق طاووس . قال الشافعى : وهذا منقطع . وقال البيهقى : وقوله : « فى كتابه » ـ ان صحت هذه ـ فانما أراد ـ فيما أوحى الله ، ثم ما أوحى الله اليه نوعان . أحدهما وحى يتلى ، والآخر وحى لا يتلى .. وتفسير الكتاب بالوحى مطلقا صح به الحديث الذى قال الرسول لأنيس الأجير الذى زنى بامراة من كان يعمل عنده ، وكان الشاب أعزب ، واراد ابوه أن يكفر عن خطيئته ويقدم فداء ذلك لزوج المراة غنما فقال عليه السلام : « والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله : أما ان الغنم والخادم رد عليك ، وان امراته ترجم اذا اعترفت » .

ـ « لا يمسكن الناس على بشىء فانى لا احل لهم الا ما احل الله ، ولا احرم الا ما حرم الله » .

قال الشافعى : انه من رواية طاووس ، وهو حديث منقطع .

ولو ثبت فمعناه انه ليس للناس ان يقولوا : كيف يحرم رسول الله ويحل ما ليس فى القرآن ؟ فان الرسول مشرع ، وهو لا يحل الا ما كان حلالا فى شرع الله ، ولايحرم الا ما كان حراما .

ـ « ان الحديث سيفشو عنى ، فما آتاكم يوافق القرآن فهو عنى ، وما اتاكم عنى يخالف القرآن فليس منى » .

قال البيهقى : رواه خالد بن أبى كريمة عن أبى جعفر عن رسول الله ﷺ ، وخالد مجهول ، وأبو جعفر ليس بصحابى . فالحديث منقطع(٣) وهكذا قال الشافعى : ما روى هذا احد يثبت حديثه فى شىء ، صغير ولا كبير ، وانما هى رواية منقطعة عن رجل مجهول ، ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية فى شىء(٤) .

---

(٣) مفتاح الجنة ، ص ١٥ (٤) الرسالة ، ص ٢٢٥

ومن رواة هذا الحديث ، من بعض طرقه ، الحسين بن عبد الله ، قال فيه ابن حزم : « الحسين بن عبد الله ساقط ، متهم بالزندقة »(٥) . وقال البيهقى أيضا : والحديث الذى روى فى عرض الحديث على القرآن باطل لا يصح ، وهو ينعكس على نفسه بالبطلان ، فليس فى القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن(٦) .

ـ « ان أبا بكر أحرق خمسمائة حديث وقال : خشيت أن أموت فيكون فيها أحاديث عن رجل ائتمنته ، ووثقت به ، ولم يكن كما حدثنى ، فأكون قد نقلت ذلك عنه » أخرجه الحاكم عن عائشة .

ذكر ذلك الذهبى فى تذكرة الحفاظ (١ / ٤٥) واورده بسند الحاكم ، ثم عقب على ذلك بقوله : « فهذا لا يصح » .

ـ « رحم الله امرءاً سمع منا حديثا فوعاه ، ثم بلغه لمن هو أوعى منه » .. ضعيف بهذا اللفظ .

ـ « من وقر صاحب بدعة فقد اعان على هدم الاسلام » .. اسناده ضعيف . وقال ابن الجوزى : موضوع .

ـ « من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » .. ضعيف .

❋ ❋ ❋

(٥) الاحكام : ٧٦/٢ (٦) مفتاح الجنة ، ص ٦

ـ « ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيىء » .

حديث موقوف على ابن مسعود ، لم يرفعه الى الرسول ، ويستدل به ـ من يأخذ بقول الصحابى ـ على ان من الأدلة الشرعية اجماع الصحابة ، كاجماعهم على انتخاب ابى بكر للخلافة ، ويستدل به أيضا على صحة اجماع اهل العلم ممن لهم القدرة على الاجتهاد المطلق ، فالمقلد لا يسمى عالما . والتقليد هو أن تتبع قولا وأنت لا تعرف وجهه ودليله ، والاتباع أن تتبع المفتىعلى ما استبان لك من صحة القول وبرهانه .. وقد قال بصحة التقليد الحنفية ، ولم يجزه الشافعية ، وفصل الامام البنا الفتوى حسب اختلاف الأفراد واستعداداتهم ومواهبهم فقال فى رسالة التعاليم فى ركن الفهم (مادة ٧ و ٨) :

« ولكل مسلم يبلغ درجة النظر فى ادلة الأحكام الفرعية أن يتبع اماما من ائمة الدين ، ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع فى تعرف ادلته ، وأن يتقبل كل ارشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده قول من ارشده وكفايته ، وأن يستكمل نقصه العلمى ، ان كان من أهل العلم ، حتى يبلغ درجة النظر .

والخلاف الفقهى فى الفروع : لا يكون سببا للتفرق فى الدين ، ولا يؤدى الى خصومة ولا بغضاء ، ولكل مجتهد أجره ، ولا مانع من التحقيق العلمى النزيه فى مسائل الخلاف فى ظل الحب فى الله ، والتعاون على الوصول الى الحقيقة من غير أن يجر ذلك الى المراء المذموم والتعصب » ..

ـ « اختلاف أمتى رحمة » .

لا أصل له ، وهو ان أخذ على اطلاقه . كذب ، لأنه لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق سخطا ونقمة ، وهذا ما لا يقول به مسلم أو أى عاقل . قال الشافعى : لم اقف لـه على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع . وأما المروى عن اختلاف الصحابة : فقد تحرى كل امرىء منهم الحق ، فله أجر اجتهاده ولو كان مخطئا . وهكذا التابعون من الأئمة المجتهدين ، وكل

مسلم يجتهد فى ارادة الخير ، وانما يلحق الذم من ينقدح له نور الحق ، ثم يصر على باطله وخلافه ، واقر الشيخ زكريا الأنصارى فى تعليقه على تفسير البيضاوى ما قاله الشافعى عن الحديث من انه لا أصل له . ومن الخطأ الذى انبنى على اعتبار هذه الجملة حديثا . أن العوام تتبعوا فى عباداتهم ومعاملاتهم الفتاوى التى تتفق وأهواءهم ، وتصيدوا من كافة المذاهب ما فيه يسر لهم ، لا ما قوى دليله ، بل ربما خالفوا الفتوى التى يصحبها الدليل ، ويتبعون ما ليس له دليل واضح لهم ، وهذا هو ما يسمى عند الفقهاء « التلفيق » .

وهذا هو الذى حمل بعض العلماء الى الوقوع فى خطأ آخر ، فقالوا : من لم يتمذهب فقد تزندق .. بينما اتفقت كلمة ائمة المذاهب جميعا على مثل قول الشافعى : « اذا صح الحديث فهو مذهبى ، واضربوا بقولى عرض الحائط » ، وقول مالك : « كل انسان يؤخذ من قوله ويترك الا قول صاحب الروضة ﷺ » .

واصل العبارة «اختلاف امتى رحمة» منسوب الى عمر بن عبد العزيز رحمه الله حين قال : « رحمة الأمة فى اختلاف الأئمة » واخذ عبارته احد الفقهاء وجعلها عنوانا لكتاب فى تلخيص الفقه المقارن سماه « رحمة الأمة فى اختلاف الأئمة » ذكر فيه الآراء المختلفة فى الفقه ، وطبع على هامش كتاب « الميزان » للشعرانى فى الفقه المقارن ايضا .

وقال السيوطى فى الجامع الصغير : ولعله خرج فى بعض كتب الحفاظ التى لم تصل الينا .

ـ « اختلاف اصحابى رحمة » .

اخرجه البيهقى والخطيب البغدادى وابن عساكر وابو العباس الأصم ، كلهم من طريق واحدة ، مدارها على جويبر بن سعيد الأزدى ، وهو متروك ، كما صرح غير واحد من النقاد ، ولم يوثقه احد ، وفيه أيضا سليمان بن ابى كريمة ، وهو ضعيف الحديث .

وقد رواه عن ابن عباس قال : « قال رسول الله ﷺ : « مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به ، لا عذر لأحد فى تركه ، فان لم يكن فى كتاب الله ، فسنة منى ماضية ، فان لم يكن سنة منى فما قال

اصحابى ، ان اصحابى بمنزلة النجوم فى السماء . فأيما اخذتم بـه اهتديتم ، واختلاف اصحابى رحمة لكم » .

قال عبد الرحمن فاخورى فى تعليقه على السيوطى : وهو من حيث متنه باطل ، مما يرجح وضع الحديث ، وذلك لأن قوله : « فأيما اخذتم بقوله اهتديتم » ـ لا يستقيم ، لأن الحق والهدى فى قول واحد لا اكثر .

ـ « القائم بسنتى عند فساد أمتى له أجر شهيد » .. ضعيف . وكذا رواية « أجر مائة شهيد » .

* * *

التاسى بالصـــحابة

ـ « اصحابى مثل النجوم ، من اقتدى بشىء منها اهتدى » ـ وفى رواية : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

قال المحدثون : الرواية الأولى موضوعة ، أما الثانية فقيل انها ضعيفة ، وقيل موضوعة ، والتضعيف هو المرجح عندهم .

وبالرغم من أن المعنى صحيح ثابت فى القرآن ، فينبغى اتقاء رواية هذين الحديثين مرفوعين ، ويستشهد بما فى القرآن فى فضل الصحابة كقوله تعالى : « **والسابقون السابقون . أولئك المقربون . فى جنات النعيم** »(١) ، « **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه** »(٢) ، فان الله لا يرضى عمن كان قدوة سيئة ، وانما عمن كان عمله صالحا صحيحا يتأسى به .

فلفظ الحديث ـ وان لم تصح روايته ـ معناه ثابت . وفى الحديث الصحيح : « عليكم بسنتى وسنةالخلفاء الراشدين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ » . أى مقدم الأسنان ، وهذاكناية عن شدة الاستمساك بها .

وسنة الخلفاء الراشدين : هى سنة الرسول ، اما بالنص ، واما بالاستنباط مما ليس نص ، وقد افاض ابن القيم فى اعلام الموقعين ، فى التاسى بالصحابة .

ـ « اهل بيتى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

واضح فى الحديث روح التشيع ، وارادة سحب البساط من تحت اقدام الصحابة ، حتى لا يكون للدين مصدر الا آل البيت .

وقضية اتباع الصحابة فيما لا نص فيه كما قال الحنفية ، وسلك الشافعى فى ذلك مسلكهم فيما لا تبدو عليه مآخذ ، واخذ الظاهرية بقول الصحابى اذا لم يعرف له مخالف فى عصره ، والجميع متفقون على التاسى بالصحابة فى الفضائل ، ورواية الثابت الصحيح عنهم ، وهو لا يتعارض بحال مع النصوص الثابتة .

---

(١) الواقعة : ١٠ ـ ١٢ (٢) التوبة : ١٠٠

واخذنا عن الصحابة قد يكون أولى من اخذنا عن الأئمة وهم من التابعين أو تابعى التابعين ، شريطة الاطمئنان للفتوى واستقرار القلب على صدق المروى عن الصحابة ، فهم غير معصومين ، وألا يكون ما افتوا به موضع خلاف بينهم ، والا وجب اعمال الفكر لترجيح ما يكون عليه العمل .

ـ « انا مدينة العلم وعلى بابها » (كشف الخفا : ٦١٨/١) .

رواه الخطيب عن ابن عباس مرفوعا . ورواه الطبرانى وابن عدى والعقيلى وابن صايد عن ابن عباس ايضا مرفوعا . كل ذلك فى الضعفاء .

ورواه الترمذى وابو نعيم وغيرهما عن على بلفظ ان النبى ﷺ قال : « انا دار الحكمة وعلى بابها » ـ وهذا حديث مضطرب كما قال الدارقطنى فى العلل ، اما الترمذى فقال : انه حديث منكر ، فهو حديث باطل . وقد **روى ابن عساكر عن ابى سعيد اسماعيل بن المثنى الاسترابادى ، اذ كان** يعظ بدمشق ، فقام اليه رجل فسأله عن قول النبى : « انا مدينة العلم وعلى بابها » . فأطرق اسماعيل لحظة ، ثم رفع راسه وقال : لا يعرف هذا الحديث عن النبى الا من كان صدرا فى الاسلام ، انما قال النبى ﷺ : « انا مدينة العلم ، وابو بكر اساسها ، وعمر حيطانها ، وعثمان سقفها ، وعلى بابها » . وقد سر الحاضرون بذلك وطلبوا الى اسماعيل ان يذكر لهم اسناده ، فاغتم لعجزه(٣) .

وقال البخارى : هذا الحديث ليس له وجه صحيح ، وقال يحيى ابن معين : انه كذب لا اصل له . وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات .

والواقع ان الجهل بالسنة والضلال فى متاهاتها كثير ، حدثنى الأخ الشيخ نجيب المطيعى ـ رحمه الله ـ ان بعض الشباب الذى خدعته بعض القراءات فى الكتب الصفراء ـ ممن يهاجمون العمل الاسلامى والمذاهب الاسلامية ، وظنوا انهم بلغوا درجة الاجتهاد ـ جاءوا اليه ليناقشوه فى بعض القضايا الاسلامية المطروحة فى مصر يومها ، لاحداث ما يشغل الناس بها ويشطرهم حولها فرقا متناحرة .. وقالوا : نحن لا نسلم لك بما تقول الا اذا اتيت لنا بالدليل من الكتاب او السنة ، فقال لهم : روى على السماك عن البزاز .. الى آخر ما قال من اسناد ومتن . فقالوا : الآن لك حق . وقد افحمتنا .. فقال لهم : يا جهلة انما اردت بعلى السماك :

---

(٣) حياة محمد للدكتور محمد حسين هيكل ، ص ٥١ ، ٥٢ ، الطبعة التاسعة سنة ١٩٦٥ .

ذلك الذى فى حلقة بيع السمك ، والبزاز ذلك الذى يبيع الأقمشة فى شارع الموسكى بالقاهرة ـ وهكذا ذكر لهم بيان من اورد ذكرهم من الكادحين فى الحى .. وقال لهم : اتقوا الله واحترموا من سبقوكم من العلمـاء ولا تغلوا فى دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبـل وأضلوا كثيرا .

ـ « لو وزن ايمان أبى بكر بايمان العالمين لرجح » .

اخرجه ابن عدى من حديث ابن عمر مرفوعا باسناد ضعيف ، ورواه البيهقى فى الشعب مرفوعا عن ابن عمر باسناد صحيح كما قال العراقى ، فعلى الأخ الداعى أن يرويه على أنه من كلام ابن عمر .

● التجديد والمجددون :

ـ « ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » (كشف الخفاء : ١ / ٧٤٠) .

رواه **أبو داوود عن أبى هريرة** عن رسول الله ﷺ ، وأخرجه الطبرانى فى الأوسط **عن أبى هريرة** ايضا . بسند رجاله ثقات ، وأخرجه الحاكم من حديث ابن وهب وصححه ، وقد اعتمد الأئمة هذا الحديث .

قال ابن كثير : وقد ادعى كل قوم فى امامهم أنه المراد فى هـذا الحديث ، والظاهر ـ والله أعلم ـ أنه يعم حملة العلم من كل طائفة ، وكل صنف من أصناف العلماء . من مفسرين ومحدثين ، وفقهـاء ، ونحاة ولغويين ، الى غير ذلك من الأصناف .

ـ « آفـة الدين ثلاثة : فقيـه فاجر ، وامام جـائر ، ومجتهـد جاهل » .. موضـوع ، وهو مثل سائر .

ـ « لتفترقن أمتى على ثلاث وسبعين ، فواحدة فى الجنة وثنتان وسبعون فى النار » .

هذه هى الرواية المشهور ولكن رواية الديلمى : « ستفترق أمتى على نيف وسبعين فرقة ، الهالك منها واحدة » .

وروى الشعرانى فى الميزان من حديث ابن النجار ، وصححه الحاكم بلفظ « غريب » بلفظ : « ستفترق أمتى على نيف وسبعين فرقة كلها فى الجنة الا واحدة » .

وفى هامش الميزان عن أنس عن النبى ﷺ بلفظ : « تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة ، كلها فى الجنة الا واحدة ، وهى الزنادقة » .

وفى رواية عنه أيضا « تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة ، انى اعلم أهداها .. الجماعة » .

وفى تخريج أحاديث مسند الفردوس للحافظ ابن حجر بلفظ : « تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة كلها فى الجنة الا واحدة ، وهى الزنادقة » .. أسنده عن أنس ، قال ابن حجر : وأخرجه أبو يعلى من وجه آخر عن أنس بلفظ : « تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة . أهداها فرقة الجماعة » .

ولعل وجه التوفيق : أن المراد بأهل الجنة فى هذه الروايات المغايرة للرواية المشهورة أهل الجنة ولو مآلا بعد أن يقال : أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال خردلة من ايمان . الخ الحديث . والله أعلم (كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر على ألسنة الناس للعجلونى : ٤٤٦/١) .

وهذه الفرق كالبهائية والقاديانية والنصيرية والاسماعيلية وأما غيرهم كالخوارج والمعتزلة فليسوا ببدعتهم كفـارا خالدين فى النـار كما قال ابن الجوزى فى تلبيس ابليس (ص ١٨) ـ ولهذا قال ابن تيمية : من قال ان الثنتين وسبعين فرقة كل واحد منها يكفر كفرا ينقل عن الملة فقد خالف الكتاب والسنة واجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين(١) .

* * *

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ، جـ ٧ ص ٢١٨ ـــ وسالم البهنساوى فى « السنة المفترى عليها » ص ٢٨ ، ٢٩ ، الطبعة الثانية ـــ دار البحوث العلميـــة بالكويت .

ـ روى ـ من طرق ـ عن شعبة عن أبى العون عن الحارث بن عمرو ـ أخى المغيرة بن شعبة عن أصحاب معاذ بن جبل عن معاذ أن النبى ﷺ حين بعثه الى اليمن قال له : « كيف تقضى اذا عرض لك قضاء » ؟ قال : أقضى بما فى كتاب الله ، قال : « فان لم يكن فى كتاب الله » ؟ قال : بسنة رسول الله ، قال : « فان لم يكن فى سنة رسول الله » ؟ قال :أجتهد رأيى لا آلو ٠ قال : فضرب رسول الله ﷺ صدرى وقال : « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » ٠

هذا الحديث أخرجه أحمد (٢٣٠/٥ ، ٢٤٢) وأبو داوود فى **السنن** (٢ / ١١٦) وأبو داوود الطيالسى فى مسنده (١ / ٢٨٦) والخطيب فى الفقيه والمتفقه (٩٣/١ و ١٢ ـ ١١٣ مخطوطة الظاهرية) ، والبيهقى فى سننه (١١٤/١٠) وابن حزم فى الاحكام (٢٦/٦ و ٣٥ و ١١١/٧ ـ ١١٢) ٠٠ وقد زعم الألبانى ـ تبعا لآخرين سبقوه ـ أن الحديث منكر ٠

أولا : لأن العقيلى روى عن البخارى أن الحديث مرسل ، فهو عن « أصحاب معاذ » وليس عن معاذ ٠

ثانيا : لأن الذهبى قال : تفرد به أبو عون محمد بن عبيد الله الثقفى عن الحارث ، ومن روى عن الحارث ـ غير أبى عون فهو مجهول ، وقال الترمذى : ليس اسناده ـ عندى ـ بمتصل ، قال الألبانى : ولذلك جزم الحافظ فى التقريب بأن الحارث مجهول ٠ وقال ابن حزم : حديث ساقط ، لما ذكر ، ولجهالة صحابة معاذ ٠٠ فنحن لا نعرف من هم ٠

● **دفع الشبهات :**

١ ـ قال ابن القيم(١) : وأصحاب معاذ ، وان كانوا غير مسمين ، فلا يضر الحديث عدم تسميتهم ، لأن هذا يدل على شهرة الحديث ، وشهرة

---

(١) اعلام الموقعين : ٢٤٣/١

اصحاب معاذ بالعلم والدين والفضل والصدق وأنهم من ذلك بالمحل الذى لا يخفى ، وبمثل قول ابن القيم قال الخطيب البغدادى من قبله فى الفقيه والمتفقه .

٢ ـ أما القول بجهالة « الحارث » فينفيه أن الحارث لم يكن مجهول العين ، بالنظر الى ان شعبة بن الحجاج(٢) ـ المعروف بالتشدد فى الرواية ، يقول عنه : انه ابن أخى المغيرة بن شعبة ، فهو يعرف حسبه ونسبه ، كما أن الحارث مجهول الوصف ، حيث انه كان من كبار التابعين ، فى طبقة شيوخ أبى عون الثقفى المتوفى سنة ١١٦ هـ ، ولم ينقل أهل الشأن جرحا مفسرا فى حقه ، ولا حاجة ـ للحكم بصحة خبر التابعى الكبير ـ الى أن ينقل توثيقه من أهل طبقته ، بل يكفى فى عدالته وقبول روايته ألا يثبت فيه جرح مفسر من أهل الشأن ، كما ثبت من بالغ الفحص على المجروحين من رجال تلك الطبقة ، أما من بعدهم فلا تقبل روايتهم ما لم تثبت عدالتهم ويقع توثيقهم .

٣ ـ وقد ذكر ابن حبان « الحارث » فى الثقات ، وان جهله العقيلى وابن الجارود وأبو العرب .

وقال الألبانى : ان الذى قال : ان الحارث أخو شعبة ، ليس هو المغيرة بن شعبة ، وانما هو من قول الراوى ـ أبى عون ـ ولو سلمنا بقول الألبانى لكان فيه دلالة على قصد الراوى ازالة الجهالة عن الحارث بكلمته تلك ، والراوى نفسه ثقة لا ينكر الألبانى ذلك ، بل انه ليثبت ذلك ويقرره .

ثم ان رواية العدل عمن سمعه فيها توثيق له ما لم تظهر قرينة تمنع ذلك . وقيل : ان الرواية لا تستلزم توثيق المروى عنه . وأنا أرجح ان رواية الخبر عن فرد تحمل التوثيق له . وتوجب العمل بالنص ما لم يكن هنالك تعارض بين المروى وغيره من الصحيح .

ومع أن جمهرة المحدثين قالوا بضعف الاسناد ، فانهم قالوا : ان معناه صحيح ، وقد أشكل على الألبانى هذا القول فقال : انه صحيح المعنى فيما يتعلق بالاجتهاد عند فقد النص ، ولكنه ليس صحيح المعنى فيما يتعلق بتصنيف السنة مع القرآن .

---

(٢) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكى ولاء ، أبو بسطام (٨٠ ـ ١٦٠ هـ) ، قال عنه ابن معين : انه امام المتقين (فى عصره) . وقال عنه أحمد : شعبة أمة وحده .

وقد جانبه الصواب ، لأن النص موجود فى هذا الأمر « فان لم يكن فى كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله » ﷺ . وهذا يعنى أن السنة هى المرجع فيما لم يأت القرآن ببيان حكمه ، فالقرآن يفهم مع ما يخصصه ، أو يقيده من السنة ، لا يعرف معنى الأخذ من الكتاب الا بهذا .. ومن ثم كان كلام السابقين فى هذا المقام هو الأولى بالقبول . رحمهم الله وايانا أجمعين .

ـ « ادراوا الحدود بالشبهات » ..

روى عن على مرفوعا ، وفى اسناده المختار بن نافع . قال البخارى : وهو منكر الحديث ، ومع هذا فانه يصلح للاحتجاج به ـ كما قال الشوكانى ـ لما يعضده من أحاديث أخرى كحديث سفيان الثورى عن عاصم عن أبى وائل عن ابن مسعود : « ادراوا الحدود بالشبهات . ادفعوا القتل عن المسلمين ما استطعتم » .

وهكذا روى عن عقبة بن عامر ، ومعاذ أيضا موقوفا ، وروى منقطعا وموقوفا على عمر باسناد صحيح ، كما روى أيضا فى مسند أبى حنيفة للحارثى عن طريق مقسم عن ابن عباس مرفوعا بلفظ « ادراوا الحدود بالشبهات » .

ويلاحظ أن الرواية صادرة عن ولاة المسلمين الذين تجب طاعتهم وتلقيت بالقبول ، عمر أمير المؤمنين وعقبة بن عامر والى مصر ، وعلى أمير المؤمنين ، ومعاذ أمير اليمن وقد أخرج البيهقى وعبد الرزاق عن عمر انه عذر رجلا زنى فى الشام وادعى الجهل بتحريم الزنا ، كذا روى عنه وعن عثمان انهما عذرا جارية زنت وهى أعجمية ، وادعت انها لم تعلم التحريم(٣) .

● **من اقر أنه زنى بامراة فجحدت :**

ـ « ان رجلا من بكر بن ليث أتى النبى ﷺ ، فأقر أنه زنى بامراة أربع مرات ، فجلده مائة ، وكان بكرا ـ ثم سأله البينة على المراة ، فقالت : كذب يارسول الله ، فجلده حد الفرية ثمانين » .

وفى اسناده القاسم بن فياض الصنعانى ، تكلم فيه غير واحد ،

---

(٣) نيل الأوطار : ٢٧٢/٧

حتى قال ابن حبان : انه بطل الاحتجاج به . وقال النسائى : هذا حديث منكر .. وقد عمل الشافعى ومحمد والهادوية بالحديث المذكور لأن له شاهدا عن سهل بن سعد .

ـ « ان رجلا جاء الى النبى ﷺ فقال : انه قد زنى بامرأة ـ سماها ـ فأرسل النبى ﷺ الى المرأة فدعاها ، فسألها عما قال فأنكرت ، فحده وتركها » .

رواه أحمد وأبو داوود ـ وفى اسناده عبد السلام بن حفص ، أبو مصعب المدنى . قال ابن معين : ثقة ، وقال أبو حاتم الرازى : ليس بمعروف . وقال مالك : يحد للزنا لا للقذف ، وهو رواية عن الشافعى ـ وقال الأوزاعى وأبو حنيفة : يحد للقذف فقط ، لأن انكارها شبهة ، وأجيب بأنه لا يبطل به اقراره ، والواقع أن حديث سهل وان لم ينص على حد القذف بعينه ، فانه لم ينف وقوعه . بل أجمل فقال « فحده » أى الحد المطلوب عن الزنا باقراره وعن القذف(٤) .

* * *

(٤) نيل الأوطار : ٢٧٣/٧ ـ ٢٧٤